

الخصائص الأسلوبية في رسالة السخرية لأبي بكر الخوارزمي

The Stylistic Features in “The Satirical Epistle” by Abu Bakr al-Khwarizmi

أ.م.د. حسين علي ناصر

Dr. Husain Ali Nasser

h.alnasr76@yahoo.com

استلام البحث: ٢٠٢٥/٧/٤ م.

نشر البحث: ٢٠٢٥/٩/٣٠ م.

المخلص:

يُعدّ أبو بكر الخوارزمي من أبرز أدباء القرن الرابع الهجري الذين وظّفوا السخرية أداةً فنيةً ووسيلةً للنقد الاجتماعي. ففي رسالته الهزلية أبان عن ثقافة واسعة، وفصاحة بيانية، وصور كاريكاتيرية لاذعة، وظّفها للكشف عن عيوب خصمه والتعريض به بروح نقدية لاذعة. وتكشف هذه الرسالة عن طبيعة الأدب في عصره، حيث لجأ الكتاب إلى السخرية والهجاء لفضح الواقع الاجتماعي وإثارة وعي القارئ أملاً في التغيير. وقد نجح الخوارزمي في رسم صورة واضحة للحياة الثقافية والاجتماعية في زمانه، مبرزاً قدرة لافتة على صياغة الخطاب وتحريك الفكر بأسلوب يجمع بين البساطة والعمق. ومن هنا تسعى هذه الدراسة إلى إبراز السمات الأسلوبية التي ميّزت هذا النص الساخر وجعلته نموذجاً أدبياً لافتاً.

الكلمات المفتاحية: أبو بكر الخوارزمي، السخرية، الأسلوبية، النقد الاجتماعي، الأدب العربي في القرن الرابع الهجري.

Abstract

Abū Bakr al-Khwārizmī stands out as one of the prominent 4th-century AH writers who employed satire as both an artistic device and a tool of social criticism. In his satirical epistle, he displayed wide erudition, eloquent rhetoric, and even caricature-like depictions, through which he exposed his adversary with sharp irony. This work reflects the literary spirit of his age, in which authors often relied on satire and invective to unveil social realities and raise public awareness in the hope of fostering change. Al-Khwārizmī succeeded in portraying a vivid picture of the cultural and social life of his time, revealing his remarkable ability to craft discourse and stimulate readers' intellect. His style combined clarity with depth—accessible in meaning yet refined in structure. This study aims to highlight the stylistic features of satire that give this epistle its distinctive literary value.

Key words: Abū Bakr al-Khwārizmī, Satire, Stylistics, Social Criticism ,
th-century AH Arabic Literature.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي ارسل رسوله بأعظم الرسائل وجعله في البرية أفضل المخلوقات وطاف به الأرض والسموات رسول كريم ينال بذكره وبطاعته البركات، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين واصحابه المنتجبين وبعد:-

ان الرسائل من الفنون التي وجدت طريقها الى الأدب حين تهيئة الأرضية المناسبة لظهورها واذا اردنا ان نبين هذه الأرضية، فيمكن القول: إن فن الرسائل يتواجد مع توافر القلم النابض، ولعلنا ندرك العوامل المؤثرة في تطوير هذا الفن من خلال عقد مقارنة ما بين العصر الذي تطور فيه هذا الفن والعصور التي مرت قبله.

فالعصر الجاهلي غابت أو قلت وجود الرسائل النثرية بصورتها الفنية، ولعل السبب في ذلك، أن المجتمع الجاهلي كان مجتمع بسيط ليس فيه تعقيد ومردة الى القبيلة والعشيرة، فالفرد الجاهلي قد لا يتعدى حدود قبيلته، ومن ثم إن المجتمع الجاهلي كان لا يتعامل بالكتابة وحتى معاملاته مقصورة على المقايضة منها لا يحتاج الى تدوين وكتابة لإبرام العقود^(١)، وإن الفن الشعري هو الذي كان طاغياً على الفن النثري في هذه الحقبة^(٢) لأنه الشعر يمثل صحيفة واعلام القبيلة، لأن الشعر يسمع ويحفظ لما كان يتمتع به الجاهلي من توقد الذاكرة، ولكن ما يكتب من سيقراه لدى ظهر الشعر واضمرت الرسائل

إن الرسائل ظهرت ولها صفة رسمية بالدولة والمجتمع الجاهلي ليس فيه دولة ولكن فيه قبيلة وعشيرة، كما وإن في الرسائل طابع التمدن والحضارة^(٣) لدى لم نجدها في العصر الجاهلي، فالجاهلي كان يعبر عن رسالته الاخوانية شعراً، فافضل تعبير كان يعبر به الجاهلي هو الشعر.

(١) ينظر: الأدب العربي في العصر الجاهلي: ٤٥-٤٧

(٢) ينظر: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي: ٤٥١-٤٥٦

(٣) ينظر: المصدر نفسه ، العصر العباسي الأول: ٤٤١

ولعل بؤادر الاهتمام بفن الرسائل جاءت مع مجيء الإسلام سواء كان هذا الاهتمام بشكل مباشر أو غير مباشر، إذ إن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد وفر الأرضية الصالحة لهذا الفن، فأقيمت دولة وهذه الدولة لها سياساتها مع أفرادها والبلاد المجاورة لها، فنراه يبعث الرسائل الى دولة الروم ودولة الفرس وغيرها ممن عاصرها وغير ذلك مما هو ثابت بالتأريخ^(١)، هذا الدعم المباشر لهذا الفن الأدبي النثري، أما الدعم غير المباشر والذي اسهم بشكل كبير في تطوير هذا هو الدعوة الى الكتابة وتعلمها، فنلاحظ إن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد وضع شرطاً لأطلاق الاسرى بقدية أن يعلموا عشرة من أبناء المسلمين الكتابة فعن ابن عباس قال: (كان ناس من الأسرى يوم بدر ليس لهم فداء، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة). وهو أثر حسن الإسناد، يدل على عناية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالعلم والتعليم في بناء الدولة الإسلامية الناشئة^(٢).

ثم إن القرآن الكريم يحث على الكتابة في إبرام العقود واقسم بالقلم وسمى سورة به، ويقول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): (استعن على حفظك بيمينك)^(٣). هذه النصوص وغيرها ادت الى الاهتمام بهذا الفن الأدبي، هذا بالإضافة لما حصل من تغير في نظام الحكم من القبيلة والعشائرية الى السلطة المركزية وتعدد الإمارات مما يدعو الى التوثيق والتبيين من الحقوق والواجبات أمام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو من ناب بعده من الخلفاء فأصبحت الرسائل تغدو وتروح الى المؤسسات التي نشأت في تلك الفترة من دواوين للجند والخراج وبيت المال وهكذا اخذت الكتابة تتطور يوم بعد يوم حتى أصبحت أكثر تطوراً في العصر الأموي^(٤)، ثم لتصبح أكثر تطوراً في العصر العباسي، ذلك لأن الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية تسعت وأصبحت أكثر تعقيداً لذي أصبحت أكثر احتياجاً للكتابة والتوثيق^(٥).

وقد تطور فن الرسائل بتطور العلم والتصانيف العلمية، فظهرت الرسائل العلمية بين العلماء، كما إن الانفتاح على الأمم الأخرى أدى أيضاً الى تطور فن الرسائل وأساليبها ولغتها فأخذت تتأثر بما يدور حولها من الثقافات الجديدة، ولو أردنا تحديد موضوعات الرسائل بشكلها العام وجدناها تنحصر في:

(١) ينظر: السيرة النبوية أبْن هشام ، تحقيق مصطفى السقا: ج ١ / ٣٨٢ ، أيضا ينظر: تاريخ الطبري: ج ٣ / ٢٢٤ .

(٢) البيهقي في السنن الكبرى (٩/١٩٦):

(٣) المصدر نفسه: ج ١٠ / ١١٤

(٤) ينظر: المقدمة ، ابن خلدون: ٥١١

(٥) ينظر: الفن ومذاهبه في النثر العربي: ١١٥ ١١٧

- الرسائل السياسية. الرسائل الدينية. الرسائل الديوانية. الرسائل الاخوانية .
- الرسائل الوصفية. الرسائل الهزلية والمفاكهات الأدبية^(١).

ولعل ما يهمنا في هذا البحث هو الرسائل الهزلية والمفاكهات الأدبية لأننا في إطار رسالة (أبو بكر الخوارزمي) التي يهزأ ويسخر فيها من (أبي الحسن البديهي). وللرسائل بعامتها سمات وخصائص أسلوبية عامة تشترك مع بعضها، ولكن رسائل السخرية مع اشتراكها الأسلوبية مع اخواتها بصفاتها العامة، إلا إنها تحمل طابعا خاصا وسمات تميزها عن غيرها من الرسائل ونحن في هذا البحث نكرس جهدنا حول الموضوع الموسوم: (السخرية في رسالة أبو بكر الخوارزمي دراسة أسلوبية) ومن هنا جعلت البحث بمقدمة ومباحث هي:

المبحث الأول: يتعلق بترجمة أبو بكر الخوارزمي وديوان رسائله .

المبحث الثاني: تعريف الأسلوبية وأهميتها .

المبحث الثالث: في معنى السخرية ودواعيها .

المبحث الرابع: استطراد في سخرية أبي بكر الخوارزمي.

المبحث الخامس: الخصائص الأسلوبية الفنية لرسالة الخوارزمي. وتتضمن:

١. مقدمة الرسالة وخاتمتها ٢. الالتزام بالسجع والمحسنات البديعية .
٣. التضمين للشعر والأمثال ٤. الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف.
٥. التأثر والجمال الاعتراضية .

المبحث الأول:

هو أبو بكر محمد بن عباس الخوارزمي (٣٢٣-٣٨٣)، الشاعر المشهور، (الطبرخزمي) لأن أباه من خوارزم وأمه من طبرستان فركب له من نسبه وذكره السمعاني، وهو ابن اخت أبي جعفر محمد بن حرير الطبري صاحب التاريخ، وأبو بكر أحد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير، وكان إماما في اللغة والأنساب، أقام بالشام مدة وسكن بنواحي حلب، ويحكى إنه قصد حضرة صاحب بن عباد، فلما وصل إلى بابه قال: قل للصاحب على الباب أحد الأدباء وهو يستأذن في الدخول، فدخل الحاجب وأعلمه، فقال للصاحب، قل له: قد ألزمت نفسي أن لا يدخل علي من الأدباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب، فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك، فقال له أبو بكر: أرجع إليه

(١) ينظر: النثر الفني في القرن الرابع الهجري: ج ١ / ٢٥-٢٨

وقل له: هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال، فقال صاحب: هذا يريد أن يكون أبو بكر الخوارزمي فأذن له في الدخول، فدخل عليه فعرفه وانبسط له. وأبو بكر له ديوان رسائل وديوان شعر، ولما رجع من الشام سكن نيسابور ومات بها في منتصف شهر رمضان سنة (٣٨٣)، وذكر ابن الأثير في تاريخه انه توفي سنة (٣٩٣)، والله اعلم رحمه الله تعالى^(١)، وقد ذكر بن خلكان ان له ديوان رسائل، إن للخوارزمي عناية خاصة بنتاجه الأدبي، ولاسيما ديوان رسائله وحرصه الكبير على جمعه وتدوينه في حياته، وإنه كان يتهداه مع تلاميذه وغيرهم، أو مع بعض أمراء الممالك في عصره وقد أكد أبو منصور الثعالبي وهو من معاصريه واحد تلاميذه اذ قال: (وديوان رسائله مغلد سائر) إلا إن قناع النسيان قد اسدل على هذا السفر النفيس استاره، كنظائره النادرة من مجاميع او دواوين الرسائل^(٢)

المبحث الثاني: تعريف الأسلوبية وأهميتها:

الأسلوبية (Stylistics) هي فرع من فروع النقد اللغوي والأدبي يهتم بدراسة الخصائص التعبيرية للنصوص، مع التركيز على طريقة صياغتها وأساليب اختيار المؤلف للكلمات وتراكيب الجمل، للكشف عن بصمته الفنية.

تعد الأسلوبية أداة مهمة لفهم العلاقة بين الشكل والمضمون في النصوص النثرية^(٣) وتكمن أهمية الدراسات الأسلوبية في النثر الفني ولاسيما الرسائل في الكشف عن البنية الجمالية للنصوص النثرية والشعرية^(٤)، وفهم شخصية الكاتب وأسلوبه الخاص^(٥)، والدراسة وفق الأسلوبية تربط بين الشكل والمضمون وإظهار الوظيفة البلاغية للغة^(٦)، كما تمكن النقد الأدبي من تحليل النصوص

(١) وفيات الاعيان وأبناء أبناء الزمان ، ابي العباس احمد بن محمد بن إبراهيم بن ابي بكر خلكان ت (١٦٨١ ١٩٧/٤ ط الأولى دار الكتب العلمية

وقد ترجم للخوارزمي في رسائل بديع الزمان الهمذاني للحدب ، وبغية الوعاة ، والوافي بالوفيات ، وشذرات الذهب، ويتمه الدهر وغيرها من كتب الترجمة .

(٢) الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع (العراق والمشرق الإسلامي) أطروحة دكتوراه (غانم جواد رضا الحسن)، كلية الاداب جامعة بغداد / الفصل الأول ١٠٧

(٣) ينظر: الأسلوبية والنقد الأدبي.. ص ١٥.

(٤) ينظر المصدر نفسه: ١٨ .

(٥) ينظر: أساليب السرد في الرواية العربية: ص ٧٨.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٨٢.

التراثية والحديثة على حد سواء^(١)، ولم تظهر الدراسات الأسلوبية الحديثة بشكلها المتطور إلا في القرن العشرين مع تطور علم اللغة الحديث، حيث قام علماء مثل شارل بالي ورومان ياكوبسون بدراسة النصوص من منظور لغوي تحليلي^(٢)، والمتأمل في الدراسات النقدية يجد نسبة التساوي بين البلاغة القديمة والأسلوبية، فقد اهتم النقاد العرب بدراسة أسلوب النثر منذ العصر العباسي، وبرز ذلك في علم البلاغة التقليدي الذي يتناول المعاني، والبيان، والبديع، وقد اعتمد الجرجاني بتحليل النظم اللغوي، وعلاقة الألفاظ بالمعاني^(٣) أما المحور الرئيسة للدراسة الأسلوبية فتكمن في المحاور الصوتي، والتركيب، والدلالي، وكل محور من هذه المحاور يتفرع منه ما يشكل استظهار للخصائص الأسلوبية الجمالية .

المبحث الثالث: معنى السخرية ودواعيها:

عد الدكتور غانم جواد في رسالته للدكتوراه الرسالة الهزلية الساخرة^(٤) من الضرب الثالث من الرسائل الأدبية وذكر لرسائل الهزل والفكاهة والسخرية دواعي وأسباب^(٥)، لكن قبل معرفة سببه ودواعي هذا النوع من الرسائل لابد من معرفة هذه المفردات (الفكاهة، الهزل، السخرية، التهكم)

الفكاهة من الفكه وهو المزاح فقد اقترنت هذه اللفظة بما يحقق المتعة والضحكة واللهو والمرح^(٦)، أما الهزل فهو نقيض الجد والهازل اللاعب، والهزلة الفكاهة^(٧)، أما السخرية فمضمون ما جاء في لسان العرب هو التذلل والاستهزاء^(٨)، وأما التهكم فهو التعرض للشر والافتحام، وربما يجري مجرى السخرية والاستهزاء، وبمعنى أوضح إن التهكم: هو أن يلقي الأديب الكاتب كلامه ويقصد ضده، أو يقرر المعنى الظاهر ويريد نقيضه^(٩)

(١) ينظر: الأسلوبية والنقد الأدبي. ص ٢١٠.

(٢) ينظر: Bally, Charles. Stylistique française. Paris: Librairie C. Klincksieck, 1951. ص:

١٢

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز ص ٤٥.

(٤) الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع والعراق والمشرق الإسلامي ١٠٨ / ٢.

(٥) المصدر نفسه / ٣٥٨.

(٦) الفكاهة عند العرب / د. انيس فريحة ١١ / ١ ط / ١٩٩٢.

(٧) لسان العرب / أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، بيروت ، دار صادر ، ١١ / ٦٩٦.

(٨) المصدر نفسه / ٤ / ٣٥٢.

(٩) الرسائل الأدبية النثرية / ٣٧٩.

وإذا ما تأملنا في هذه المفردات قليلا وجدناها متقاربة المعنى، ولكن هناك ما يميز بعض عن البعض الآخر شيء دقيق، وهو إن الاستهزاء غير السخرية وتحصل عندما يكون الساخر قد تعرض لشيء ظاهر من المستهزئ به.

فإن تعرض له على نحو الفرح واللهو واللعب والضحك كانت فكاهة، وإن قدم له بالمدح وأراد الذم كان متهمكاً، ولعل هذه المفردات من فرط التداخل بها لا نستطيع ان نحددها لأنها من المفردات النسبية، وقد وقف القرآن الكريم الموقف الصارم من كل اشكال السخرية ومعانيها حين قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ) وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ^(١).

ولكن الأسباب التي أدت الى نشأة هذه الألوان من الرسائل الأدبية النثرية الساخرة، إذ بدأ أدب الفكاهة والسخرية، ولا سيما النثر الهزلي الفكاهي الساخر في ظل الحضارة الإسلامية التي فاح شذاها في ربوع الأقاليم الإسلامية وحواضرها أبان هذا القرن (القرن الرابع الهجري) وشاع شيوعاً ظاهراً، وقد تضافرت أسباب عديدة أدت لشيوع هذا اللون من النثر الفكاهي الساخر، لعل أهمها ما يأتي^(٢)

١. **العامل الحضاري:** إن ما شهدته حضرة الخلافة، وبعض حواضر الإمارات الإسلامية المستقلة في أقاليم المشرق أبان هذا القرن، من مظاهر الترف، ولين العيش ودعته - ولا سيما في أوساط الطبقة الخاصة بما لم يبلغه المجتمع الإسلامي من قبل مما ساعد على انتشار مظاهر البذخ واللهو وعقد مجالس الغناء والشراب والأنس وأقامت منتديات الأدب الراقية التي كان يأمها الأدباء وغيرهم من وجوه الطبقة الخاصة ومترفيها، لقضاء أوقات فراغهم بين سمر الغناء وأجواء الأنس ومتعة الأدب.

٢. **تردي الأوضاع الاقتصادية:** -وهو الوجه الآخر الذي يكشف عن طبيعة حياة السواد الأعظم من الرعية والطبقة العامة وما كانوا يعانون من ضنك العيش وفداحة الضرائب التي كانت تنقل كاهلهم فضلاً عما واجهوا أيضاً من ظلم الحكام والولاة وتعسف عمال الخراج وجباة الضرائب وغيرهم، ولقد تأثر بعض الادباء الكتاب في هذا القرن بهذه الأوضاع الاقتصادية المتردية وبرموا بحياتهم وضجروا من واقعهم بما قاسوا من بطش وجور ومصادرة لأموالهم وضياعهم ومطاردة وما الى ذلك، ومن هنا راح بعض الكتاب كأبي بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني وغيرهم يوجهون سهام اقلامهم اللاذعة الى كل ما لا يتفق مع تطلعاتهم او ما يتعارض ورغبات الكثرة الغالبة من

(١) سورة الحجرات: الآية : ١١

(٢) الرسائل الأدبية النثرية / ٣٦٠

الرعية ومصالحها^(١) يقول بعض الباحثين ان براعة الخوارزمي في تصوير ضروب، الجور والتعسف التي كانت يمارسها جباة الضرائب، وتهكمه الساخر برموز الظلم من الحكام الجائرين، كان الخوارزمي يلجأ الى تضخيم الصورة وتكبيرها بالصورة المنفرة الأخرى، وقد يعمد أحياناً الى قلب الصور زيادة في السخرية.

المبحث الثالث: استطراد في سخرية ابي بكر الخوارزمي: عندما نتتبع في رسالة الخوارزمي التي ارسلها الى ابي الحسن البديهي الشاعر، نجده قد استخدم كل الوان الهجاء بمفرداته المتعددة (السخرية والتهكم والفكاهة) وقد صرح هو بنفسه بهذا في مواطن متفرقة من هذه الرسالة وحاول ان يبني موضوعها الكلي وهو الهجاء بمادته ولفظه فذكر لفظة السخرية والهجاء ومن ذلك (فلو قسم الله تعالى الرحمة جزاءاً لا يتجزأ لما جبلك كما جبلك، ولا خذلك كما خذلك، واني لأعلم ان دعائي هذا اول خائب، وان سهمي فيه غير صائب، ولكني اصانعك به، واسخر منك فيه، فاقول رحمك الله تعالى انا لو سلمت لك انك انسان نفيت عن نفسي الانسانية وصححت عليها البهيمية)^(٢)، فهو يقول (واسخر منك فيه) وفي موضع آخر يصرح انه عوذ رسالته بما هو قبيح من اوصاف البديهي فيقول: (فانما هي عواذة عوذت بها هذه الرسالة وطلسم حسن صنت به هذه المقالة فعوذت احسن الاشياء باقبح الاشياء، وسترت بنقصان المدح كما الهجاء)^(٣)، وهو في كل رسالته ما بين ساخر بالصورة او بالجسم او الوصف بالجهل ويستدل عليه بصورة من صورته، فيصل أحياناً الى مستوى الهجاء المقذع الذي يصل الى حد السباب والطعن بالعرض والأنساب، وفي صورة أخرى يكون متهمكاً على البديهي، مما يصفه بشيء ويريد نقيضه، ولنا ان نتجول في هذه الرسالة لناظر بحثنا بنماذج مما ذكرنا وان كانت الرسالة كلها عبارة عن انموذج للسخرية.

بدأ الخوارزمي رسالته معنفاً خصمه البديهي، مشيراً الى انه اراد بهذه الرسالة ان يوقع عليه الحجة، ويقيم عليه الدليل على جهله، وعدم احساسه الا بالردائل من الامور، وال.... من الاشياء^(٤)، (لست اعاتبك عافاك الله تعالى لان العتاب يصلح منك، او يعمل فيك، او لأن جهلك جهل يعالج بالعزل، او يداوى دواءه بالقول، كلا عافاك الله تعالى جهل الناس عرض وجهلك جسم لا يزول الا بالفعل، ولا يقع دواءه الا من الكف وال....، ولكني انما اردت بهذه الرسالة ان تتوجه عليك الحجة، وان تتقطع عنك العلاقة والعلة، وان كانت ترد منك على عين عمياء، واذن صماء وقلب لا

(١) المصدر نفسه / ٣٦٢

(٢) رسائل ابو بكر الخوارزمي / ٢٤١ / نشرات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٠.

(٣) المصدر نفسه / ٢٤٤.

(٤) الرسائل الادبية النثرية في القرن الرابع / ٣٨١.

يعرف النقصان الا في ماله، ولا يحبس بالالم الا في جسمه ولا يجد للنقص حساً ولا للهبب وقعاً ولقد عفت هذا الكلام بك وضيعته فيك....^(١) ويستمر الخوارزمي بوصف البديهي بسخريته اللاذعة، حيث حرص على إظهاره في صورة الجاهل الغافل الذي يحمل العيوب الكثيرة المنفرة، وجعل منه مخاصماً للحق فقال: (وليس محنتي فيك باعظم من محنة الحق الذي لم تنزل تبعث به حتى لو تجسم نفساً لسعيت في ذمها، او تمثل داراً لجهدت في هدمها...)^(٢)، وقد جعل منه شخصاً يقلب الحقائق ومن ذلك قال: (وتقلب اعيان الامور، فتجعل الضوء ظلمه وتعكس البدعة سنة حتى كأنك سوفسطاً استخلفك على جحد ما يدرك عياناً، ويعرف ايقاناً، فانت وارثه في الباطل وناضر جهله على كل عاقل، وحتى كأن الله انزل عليك قرآن ضلاله، وبعث اليك رسول جهالة، وقال لك خالف ال..... وانت على السنة، وعاد الصواب وانت في الجنة، واوحش الاحرار وانت اصل الحرية، وباين الناس ومنك منبع الانسانية، وانصر اللوام وانت الكريم، وناقض الحكماء وانت الحكيم، لو علق القبيح بالثريا لصورت اليه.. (حتى ينعت انه ينكر الحقائق) فيقول:- لو سئلت عن يحيى بن زكريا لذكرت انه زنى، ولو ذكرت القائم ادعيت انه مضى واستخبرت عن ابليس ذكرت انه سجد لآدم، ولو نظرت في عيسى نفيته عن مريم)^(٣)، هكذا واكثر رسم الخوارزمي في صورة خصمه انها شخصية جاهلة بمستوى انها لا تدرك الحقائق والبديهيات وتكرها ونرى في الرسالة صورة الاستهانة بخصمه من خلال التهكم الذي يبينه الكاتب في ثنايا الرسالة، فيظهر صورة علمه ويريد نقيضها، فيجرد خصمه من كل جميل ويبعث به فيرسل له كل رذيل وقبيح:-

(وانك لو سمعت علياً يقول سلوني قبل ان تفقدوني سألته حتى يقول دعوني فقد افحمتوني، وانك لو امدت بك الملائكة ما قالت سبحانه لا علم لنا الا ما علمتنا وان اباك آدم لو اعين بك ما لعب ابليس به، ولا أنف من السجود له، وان عمك قابيل لو رآك ما اقدم على اخيه هابيل، عشقاً لك ورغبة فيك، وان العجم عرب اذا كنت فيهم، كما ان العرب عجم اذا بنت عنهم، وان الرياض انما اكشت طيب ريح لانها تستمد من نكهتهم، وان النجوم انما اعطت ضوءها من ضوء غرتك، وان الخيل ما اختالت في مشيرها الا لأنها حملتك، وان الطير انما لحنّت اصواتها لانها عشقتك، وان البحار انما وزخرت هيبه لك، وان الجن انما توحشت وخفيت لانها صورتك وان الشمس انما جعلت مبصرة والقمر انما جعل آية لان الشمس تواضعت لك بالتأنيث والقمر

(١) رسائل ابو بكر الخوارزمي/ ٢٣٥.

(٢) المصدر نفسه/ ٢٣٦.

(٣) المصدر نفسه/ ٢٣٦.

نازعك في التذكير^(١)، ثم لم يكتفي الخوارزمي بسخريته الهزلية وتهكمه انما زاد على ذلك ليبلغ حد الصماء ال.... اللاذع الفاحش ومنه قوله:-

(يا غداة الفراق، وكتاب الطلاق، يا موت الحبيب، وطلعت الرقيب، يا يوم الاربعاء في آخر حضر، ويا لقاء الكابوس في وقت السحر يا خراجاً بال غلة، وداء بلا علة، يا اثقل من الكتب على الصبيان، ومن عراء الدار على السكان، يا ابغض من لم ولم، ومن لا بعد نعم يا بغله ابي ولامة حمار طيلب وكيلسان لبن حرب، وخرطه وهب، ياكيف السجن في الصيف، يا شرب الخمر على الكشف يا جشاء من اكل فجليه، وفساء من اكل قنطيه، يا خجل ال.....، وجواب الغلطة . يا اقذر من ذباب على جعر رطب، ويا اذل من قراد في است كلب. (الى ان يقول) جعلت فداك من الخير لا من الشر هذا كله مصانعه لك، ورفق بك، ذلك لأنني شبهتك باشيء تنقص في باب عنك، وتأنف والله منك، ولقد ظلمتها بك، اذ كان قد تفرق فيها من المعاييب ما اجتمع فيك، ومن لي بشيء يوازيك، وشبيهه يضاهيك . (٢)

ثم يذكر انه لم يجد ما يشبهه به ليبين حقيقة مستواه واصله وفحواه .

ثم يعود ليتهمك عليه من جديد فيقول: (قد اتفق الناس على ضياع النسخة الأولى من كتاب العين فامله علينا، واجمعوا على ذهاب قراءة ابي كعب وعبد الله بن مسعود فاخرجهما الينا، وتخالف الناس في المهدي وشكوا في السفياي، وفي الأصفر القحطاني، فعرفنا متى يخرجون، فإنني اعلم انهم اليك يختلفون، وفي امرك ونهيك مترددون وعشورتك يغيبون ويحضرون) (٣)، لقد سخر الخوارزمي كل طاقته في اظهار صورة خصمه بهذه الصورة واستفاد من كل كلمة اطلقها في تضاعيف رسالته، فكانت قوية التأثير على خصمه، بما انتظمه من تهكم عنيف وسخرية لاذعة قد اطلق العنان فيها للسان وعبر فيها عن طيلسانه، حتى ختم رسالته بأسلوب بارع وصورة نادرة جميلة، فشبه رسالته بالعروس التي تهدي الى خطيبها، غير ان مهرها كان باهضاً، لان مهرها كان باهضاً، لان مهرها لم يكن كما تعارف الناس عليه، وانما كان وصفه لخصمه الذي تنازل لذكر نعوته وصفاته الذي يقول فيها متندراً: " هذه رحمك الله هدية اهديتها اليك، بل هدى من العرائس جلوتها عليك، وما مهرك الا فقذك ولا ثمنها الا بعدك فاذا وهبتها فقد وفيت المهر، وارضيت العروس والصهر، فسبحان من ارانيك ولك صهر مثلي، وانت ختن لي، وعهدي بالناس يخطبون الكرائم بالكرم، ويطلبونها بحسن الاخلاق والشيم، وانت خطبت هذه الكريمة بلؤم فجرك، وصغر قدرك وعهدي بهم يحتملون المهور

(١) المصدر نفسه / ٢٣٩.

(٢) رسائل أبو بكر الخوارزمي / ٢٤٦ - ٢٤٧

(٣) المصدر نفسه / ١٤٧

في أموالهم وانت جعلت مهر هذه من عرضك الخلق، اللبیس الممزق، واعجب ما فيها انك اذا طلقته لم تطلقك، واذا اطلقتها من حبك لم تطلقك، فخذها مبارکاً لك فيها، فيئست العروس وزوجها شر منها^(١)

وهكذا نتلمس من قراءة فصول الرسالة الأدبية القيمة ان أبا بكر الخوارزمي استطاع بموهبته الفنية النادرة، ان يرجع بإتقان تام وبراعة نادرة، بين ثقافته الموسوعية الغزيرة وبين أسلوبه الفني الرصين و.... كثيراً في خلق هذا التجانس العجيب بين الفاظه الرشيقه ومعانيه الواضحة الرشيقه، تجانساً يتمتع الفكر والعقل، كما يتمتع الحس والذوق .^(٢) وربما اذا رجعنا الى الأسباب والدواعي الى السخرية بصورتها هذه نجد ان الدافع الرئيسي هو الفقد الاجتماعي ولذا فان الخوارزمي لم يسخر فقط من البديهي وانما قد جعل من البديهي مثلاً لعلماء عصره ممن يدعون ما يدعون، وفي نفس الوقت أراد ان يظهر سعة ثقافة وعمق علمه من خلال التعدد في موضوعات السخرية منها ما في التاريخ ومنها في الشخصيات ومنها الموضوعات الدنية ومنا الأدبية ومنها العلمية، فجردها عن خصمه وأثبتها لنفسه وان لم يصرح بتثبيتها لنفسه.

ولكن تجده على الرغم من هذا المستوى لشخص الخوارزمي قد نزل لاستخدام بعض السخرية التي تتواجد بين مستوى العامة ولا ترتقي الى مستوى طبقة العلماء وقد ذكرتها في ثنايا النماذج، والمبالغة سمة بارزة في أسلوب الخوارزمي، تطفح بها رسائله ولعل الطابع الشخصي الذي تميزت به أغراض الخوارزمي في هذه الرسائل من الأمور التي ساعدت على ظهور هذه النزعة، فالمديح والهجاء والتهنئة والتعزية من الموضوعات المشبعة بالعاطفية .^(٣) ولذا رأينا الخوارزمي في رسالته يبالغ في تجسيم الحدث وتشنيعه ويقرنه بطائفة من ال..... او البعيدة المؤثرة لأثارت مشاعر السخط والتفريز والنفور^(٤)، ولعل الخوارزمي أراد من خلال هذه الصور المقلوبة ان يثبت ما هو مطلوب ومعكوس والسخرية والهجاء ممن لا يعتقد بها .

(١) المصدر نفسه / ٢٥٠

(٢) الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع / ٣٨٥

(٣) أبو بكر الخوارزمي حياته وادبه ، رسالة ماجستير تقدم بها محمود صالح ، جامعة بغداد ١٩٧٦، ص/

٣١٨

(٤) المصدر نفسه / ٣٢٤

المبحث الرابع: الخصائص الأسلوبية لرسالة الخوارزمي

وتتضمن دراسة ما يأتي:-

(مقدمة الرسالة وخاتمتها، المحسنات البديعية والالتزام بالسجع، التضمنين، الاقتباس من القرآن الكريم، التأثر والجمال الاعتراضية)

١. مقدمة الرسالة وخاتمتها

ليس للخوارزمي نهج واحد في افتتاح رسائله، وإن كان الطابع العام فيها خلوها من عبارات الثناء والتفخم والتعظيم وكلمات التحية المتعارف عليها، كما أنها تكاد تخلو من التحميدات التي درج كتاب الرسائل الديوانية والاخوانية على الابتداء بها في العصور السابقة، وإن ما جاء منها في رسائله^(١).

ولا يهمننا مقدمة الرسائل سوى ما فتح به رسالة السخرية حيث افتتح هذه الرسالة بقوله (لست اعاتبك عافاك الله تعالى)^(٢) ولعل هذه الافتتاحية فريدة عنده لأن هذه الرسالة وحيدة في مستواها فهو لا يعاتبه لأنه ليس محلاً للعتاب .

أمّا ختم الرسالة، فنلاحظ أن رسائل الخوارزمي غالباً ما تنتهي بالدعاء وقد تنتهي بالشعر أو بمثل أو حكم أو بقول إن شاء الله أو السلام .^(٣) أما الصيغة التي انتهى بها في رسالته الدعاء عليه والتبكيته به والإساءة له بقوله: (فخذها مباركاً لك فيها، فبئست العروس وزوجها شر منها)^(٤)

٢. الالتزام بالسجع والمحسنات البديعية: اتسم أسلوب الخوارزمي في رسائله بالالتزام بالسجع حتى صار خصيصة من خصائص فنه النثري، ولعله موافق لأهل عصره من الكتاب في هذه الخصيصة بالذات .

فالسجع أصبح من سجايا الكتاب خصوصاً في هذا العصر لكن ما يجعل الخوارزمي مميزاً، أنه لا يذهب به مذهباً بعيداً كما فعل غيره من الكتاب. على أن من الواضح أن الخوارزمي كان يميل إلى السجعة القصيرة، وهي التي تقع بين جملتين قصيرتين لينتقل بعدها إلى سجعة أخرى، ولا شك أن هذا اللون من السجع لا يحتاج إلى كثير من الاحتشاد والاستعداد، وأنه يحقق للقارئ فرصة

(١) المصدر نفسه / ٢٩٣

(٢) رسائل أبو بكر الخوارزمي / ٢٣٥

(٣) أبو بكر الخوارزمي حياته وأدابه / ٢٩٧

(٤) رسائل أبو بكر الخوارزمي / ٢٥٠

الانتقال بين انغام كذبة تبعث على الحركة ^(١) . ومن ذلك (ولو سمعن خطب امير المؤمنين علي عليه السلام استعيبت بيانه، ولو مررت بايوان كسرى بنيانه، ولو رأيت بناء ارم ذات العماد استصغرت شأنه ^(٢) ومع ذلك فأن الطابع العام لسجع الخوارزمي لا يخرج عن المألوف ولا يدفع بقرائه الى النفور لوضوح معانيه وبساطة أفكاره والفاظه ^(٣) .

أمّا المحسنات البديعية، فلم يقتصر اهتمام الخوارزمي على السجع وحده فقد اهتم بالمحسنات البديعية التي تزين النص وتجمله وقد انصب اهتمام الخوارزمي على الطباق اكثر من غيره من المحسنات حتى لا تكاد وتخلو منه مقطوعة من رسائله، ولعل مرد ذلك يعود الى رغبته في تبريز معانيه واطهارها قوية الدلالة .. ولعل شغفه بالمقابلات المعنوية هو الذي حدا به الى استخدام الطباق لانها تستدعي اول ما تستدعيه تقابلاً بين الالفاظ، واختلافاً في الدلالة ^(٤) ومن امثلة ذلك فهو يقابل بين الذاتي والعارض، وبين العالم والجاهل وبين الحق والباطل وبين الضوء والظلمة وبين اللؤم والكرم وغيرها من هذه الصور ^(٥) .

فهو لم يكن مغالياً في الاهتمام بالمحسنات . وانه اخذ منها بطرق ولم يبلغ فيها مبلغ المتأخرين الذين صارت الصدفة همهم الأول والأخير ^(٦) .

٢. التضمين للشعر والامثال

عمد الخوارزمي الى تضمين رسائله بأبيات من الشعر يختارها لقوة دلالتها، ومتانة تركيبها، وحلاوة نغمتها، فيوشح بها رسائله فكأنما هي حلية تضاف الى سائر الحلى التي وأب على تجميل نصوصه النثرية بها . ^(٧)

لقد استشهد الخوارزمي في غالب رسائله في الشعر وليس ذلك بعجيب لأنه كان شاعراً ويتذوق الشعر فينتقي منه ما يسند معناه في رسائله .

(١) أبو بكر الخوارزمي حياته وادبه / ٢٩٩

(٢) رسائل أبو بكر الخوارزمي / ٢٣٦

(٣) أبو بكر الخوارزمي حياته وادبه / ٣٠١

(٤) المصدر نفسه / ٣٠٣

(٥) رسائل أبو بكر الخوارزمي / ٣٣٦ - ٣٣٧

(٦) أبو بكر الخوارزمي حياته وادبه / ٣٠٣

(٧) المصدر نفسه / ٣٠٥

ومن امثلة ما استشهد به في رسالته الساخرة تراه استشهد في ثلاث عشرة موقفاً، وهو عدد ليس بقليل إزاء حجم الرسالة التي كتبها، والابيات هي:

ولو انك زهير لا نفت من ان تقول:

واعلم مافي اليوم والاسس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي

وكذلك لو كنت زيادة بن زيد ما قلت:

اذا ما انتهى علمي تناهيت عنده اطل فابلى ام تناهى فاقصر (١)

وان عدي بن الرقاع تحول في هيكلك ونطق على لسانك حيث قال:-

وعلمت حتى ما اسال واحداً عن حرف واحدة لكي ازدادها (٢) وايضاً قال:

وهذا دعاء لو سكت كفيته فاني سألت الله فيك وقد فعل (٣)

و لظننت انك يونس بن فروة الذي قيل فيه:

اتى بن فروة يونس وكأنه في كبره ابر الحمار القائم

فالناس عندك غير نفسك وحدها فالناس عندك ماخلاك بهائم (٤)

ومن استشهاده ايضاً:

انما الدنيا حميد واياديه الجسام

فاذا ولى حميد فعلى الدنيا السلام

ومن استشهاده أيضاً:

فتى كان امي من فتاة حبيبة واشجع من ليث بخفان خادر

واستشهد ايضاً: اغبثاً تحمل الناقة ام تحمل هرونا

ام الشمس ام البدر ام الدنيا ام الدنيا

(١) رسائل أبو بكر الخوارزمي / ٢٣٩

(٢) المصدر نفسه / ٢٣٩

(٣) المصدر نفسه / ٢٤١

(٤) المصدر نفسه / ٢٤٢

ومن استشهاده ايضاً:

تسود اقوام وليسوا بساد بل السيد المقدام سلم بن نوفل ^(١)

ومن استشهاده أيضاً:

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة القدر

ومن استشهاده ايضاً:

مسحت دور وجه معن سابقاً لما جرى وجرى....الاحتساب

واخر بيت استشهد به للمتبي:

واذا الفتى طرح الكلام معرضاً في مجلس اخذ الكلام اللذعني ^(٢)

هذه استشهادات الخوارزمي للشعر التي بثها في ثنايا الرسالة . وقد وجدت في الرسالة قد استشهد بشطر من بيت الخطيئة في ثنايا نثره (ولا يذهب العرف بين الله والناس) ^(٣)

أمّا تضمينه للأمثال فقد قال محمود صالح الضمور:

ولعل ابلغ دليل على مغالاته في استخدام الامثال بكثرة الحفظ ما جاء في رسالته الى ابي الحسن البديهي فقد نعتة بما زاد على مائة نعت هي في اصلها أمثال عربية معروفة، تنفر منها النفس وتجفوها اللسان، ولكنه أراد ان يمرغ وجه البديهي في الوحل فأتى بها امعاناً في التنكيل، واستدللاً على خبيث منبته، وسوء طالع ^(٤) ومن ذلك .

(يا بغله ابي دلا.... وحمار طياب وطيلسان ابن حرب وخرطه وهب يا قدح اللبلاب في عف المريض يا نظرة الذل الى البغيض، يا كنيف السجن في الصيف، يا شراب الخمر على) ^(٥)

وهكذا يستمر بذكره لهذه الاوصاف مما يحاول ان يبين مقدرته وسعة ثقافته ويتطلع على خصمه بذلك .

(١) المصدر نفسه / ٢٤٩

(٢) المصدر نفسه / ٢٥٠

(٣) المصدر نفسه ٢٣٧

(٤) أبو بكر الخوارزمي حياته وادبه / ٣١٢

(٥) رسائل أبو بكر الخوارزمي / ٢٤٥

٤. الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف

من الطبيعي ان تظهر صيغة القرآن وتأثيرها على شخص مثل الخوارزمي الذي يحمل صفة الثقافة الإسلامية العربية، فكان من الطبيعي ان تبدد اثار القرآن على رسائله سواء كان باللفظ او المعنى:

ولو نظرنا الى رسالته التي بين أيدينا وجدناها عامرة بالألفاظ والمعاني القرآنية ومن ذلك قوله: (ولو رأيت بناء ارم ذات العماد استصغرت شأنه)، وهذا من قوله تعالى: (ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد)^(١).

ومن اقتباسه ايضاً (ولو حكي قول فرعون انا ربكم الأعلى قلت ماخطأ ولا تعدى) وهذا من قوله تعالى: (فقال انا ربكم الأعلى فاخذه الله نكال الآخرة والأولى)^(٢).

ومن اقتباسه أيضاً (وان الشمس انما جعلت مبصرة والقمر انما جعل اية محو لان الشمس تواضعت لك بالتأنيث والقمر لك بالتذكير) وهو من قوله تعالى: (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم)^(٣).

ومن اقتباسه (وان ليس بعد الحق الا الضلال) وهو من قوله تعالى (فذالكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فاني تصرفون)^(٤).

ومن اقتباسه ايضاً (والمعدي يقول ان هذين لساحران) وهو من قوله تعالى: (قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى)^(٥).

ومن اقتباسه (يامن هو حجة الملحد في قوله الذي احسن كل شيء خلقه) وهو من القرآن في قوله (قال ربنا الذي اعطى كل شيء ثم هدى)^(٦).

ومن اقتباسه (ولا تمشي في الأرض مرحاً انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً) نفسها الآية في سورة الاسراء اية (٣٧).

وهناك كثير من الاقتباسات الأخرى وذكرت هذه الآيات على سبيل النماذج .

(١) سورة الفجر اية ٧-٨.

(٢) سورة النازعات اية ٢٤-٢٥.

(٣) سورة الاسراء اية ١٢.

(٤) سورة يونس اية ٣٢.

(٥) سورة طه اية ٦٣.

(٦) سورة طه اية ٥٠.

وكذا اقتبس من الحديث الشريف ومعناه ومن ذلك (لو علق القبيح بالثرى لصورت اليه) فقد اخذ معنى حديث رسول الله (لو كان العلم بالثرى لناله رجال من فارس) ولكن قلب الحديث مقتبس المعنى والأسلوب وقلبه

وهكذا بدأ الخوارزمي متأثراً بثقافته القرآنية والإسلامية ولم يعبر عنها بالاقتباس بل ذكر كثيراً من المصطلحات والاسماء والفرق الإسلامية منها (السنة، البدعة، التأويل، التنزيل، التراويح، التوحيد، التوبة، العبادة، الفريضة، الاجماع، الشريعة، الرجعة وغيرها ومن الأسماء (الحسين بن علي عليه السلام، وعلي بن ابي طالب عليه السلام ابن عباس، عمر بن الخطاب، عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا ومعاوية ويزيد وأبو جهل واما من المناطق كربلاء والحرة، الشام، الهند، والصين وغيرها واما من الفرق فذكر المسلمين والنصارى، المجبرة، المشبه، المعتزلة الثانوية وغيرها ممن يثبت انه على مستوى عالي من الثقافة الإسلامية ومعرفتها .

٥. التأثير والجمل الاعتراضية

من القضايا المهمة التي ينبغي ذكرها ان الخوارزمي كان يعيش في مجتمع علمي وطبقة علمية قد تأثر بالمحيط الذي ينتمي اليه خصوصاً في رسالته التي مصدر دراستها التي تذكر الاخبار وتؤكد الدراسات انه قد نهل في كتاباتها من الكتاب الكبير صاحب الذوق الرفيع الجاحظ، والذي يغلب على طبعه الفلسفة والاستطراد، وربما يرد ذلك الى مذهبه المعتزلي، فيذكر الدكتور غانم جواد في اطروحته للدكتوراه ما نصه: (وقد تأثر الخوارزمي في كتابة رسالته هذه كثيراً برسالة (التربيع والتدوير)^(١) التي ألفها الجاحظ في هجاء احد معاصريه، والسخرية اللاذعة به والتهكم عليه .. وهكذا تثبت أبو بكر الخوارزمي في رسالته هذه التي بسط فيها اراءه بسطاً واسعاً مفصلاً، بطريقة الجاحظ في الحوار والجدل، وما يتصل بهما من مغالطة او سفسة منطقية، فاستعان بضروب من المفردات التي بنى عليها ما تناوله في هذه الرسالة الهزلية من ذكر الأشياء ومناقضتها، ومن تلك المناقضات

(١)- رسالة التربيع والتدوير: يهجو «الجاحظ» غريمه «أحمد بن عبد الوهاب» في رسالة «التربيع والتدوير» بأسلوب ساخر وممتع، راسماً بلغته المتميزة صورة كوميدية له. يستعين «الجاحظ» بكافة ما يمكن من الصيغ البلاغية للنيل من عدوه، ولا يتورع عن ذكر كل الحجج التي تنتقص منه وتُفنع القارئ بأن كل ما يذكره من مبالغات في ذمّه هي حقيقة واقعة؛ دون أن يتخلّى عن رشاقة الكلمة وجمال الأسلوب. وقد أبدع «الجاحظ» كعادته في التصوير حتى وصل بالقارئ إلى تخيل شكل غريمه وكأنه أمامه، فاعتمد على إهانته بوصفه الحسي القبيح، وبوصف أخلاقه بأشنع النعوت، مُستشهداً بأبيات الشعر وآيات من القرآن الكريم؛ كل ذلك بطريقة غاية في الهزلية جعلت من الكتاب رسماً كاريكاتورياً طريفاً يوضح بلاغة «الجاحظ» وموهبته، ويُمَتّع القارئ وهو ينتقل معه إلى العصر الذهبي الذي شهد إبداعات العرب الفريدة في فنون الكلام والتلاعب باللغة.

والمفارقات استمر الكاتب هجاءه وتهكمه الساخر بابي الحسن البديهي، واستطاع ان ينفذ من ذلك كله الى التكنيل به وتشويشه بما رسم له من صور (كاريكاتيرية) هزلية ساخرة^(١)، ومن القضايا التي امتاز بها كتاب هذا العصر في نثرهم وخصوصاً رسائلهم الجمل الاعتراضية، والخوارزمي لم يكن بدعاً منهم بل سار على منهجهم وعمد الى طريقهم فقد استخدم الجمل الاعتراضية في رسالته اثنا عشرة مرة وصيغتها الدعاء على سبيل التهكم ومنها (عافاك الله تعالى) مرتين و (رحمك الله تعالى) تسعة مرات وذكر (جعلت فداك) مرة واحدة^(٢).

الخلاصة: لقد استطاع الخوارزمي ان يوظف طاقاته الفكرية وسعته العلمية وجزالته اللفظية ومحسناته البديعية ومقابلاته الصورية ومقطوعاته الكاريكاتيرية التي برع في تصويرها فزهد بخصمه فيها بالسخرية على خصمه، هذه الرسالة كانت انموذج يمثل القرن الرابع الهجري وصورة واضحة للنقد الاجتماعي الذي جعله الأدباء على صورة سخرية وهجاء من أجل أن يبعث الشعور بحال المجتمع وما وصل اليه، لعله يكون فيه أثر للتغيير في الواقع، فاستطاع الخوارزمي أن يجسد لنا صورة جلية واضحة عن الحياة في عصره وما قلمه وحبره وقرطاسه الا سجل واضح يعبر عن مقدرته في تكوين الخطاب وشد عقول ذوي الالباب ولذلك كانت لغته سهلة ممتعة، قريبة المدرك والاستيعاب جميلة في تركيبها يكسب معانيه الفاظها .

وهنا ارجو ان أكون موفقاً في بيان بعض الخصائص الأسلوبية للسخرية عند الخوارزمي في هذه الرسالة الظرفية.

(١) الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع / ٣٨٠-٣٨١.

(٢) رسائل أبو بكر الخوارزمي / ٢٣٥-٢٥٠.

المصادر والمرجع

القران الكريم

- أساليب السرد في الرواية العربية: صلاح فضل: القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢.
- الأدب العربي في العصر الجاهلي: علي الجندي، دار الفكر العربي، القاهرة،
- الأسلوبية والنقد الأدبي: محمد عبد المطلب، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٢.
- السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت ٤٥٨ تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ٢٠٠٣
- السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحيمري ت ٢١٣، تحقيق: مصطفى السقا - إبراهيم الانباري
- -الفاكهة عند العرب / الدكتور انيس فريحة الطبعة الأولى، ١٩٩٢.
- الفن ومذاهبه في النثر العربي شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، ط٧، ١٩٩٣م
- المقدمة، ابن خلدون،، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، القاهرة: دار نهضة مصر.
- النثر الفني في القرن الرابع الهجري، زكي مبارك، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٥م.
- تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، شوقي ضيف، ط١ ذوي القربى
- تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، الناشر، ذوي القربى
- تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط٦ دار المعارف - القاهرة
- دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر.. تحقيق: محمود شاكر. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٢.
- رسائل أبو بكر الخوارزمي / منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٠/ مكتبة ابن الجوزي .
- لسان العرب/ لابن منظور /أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم / بيروت دار صادر.
- وفيات الأديان وأنباء أبناء الزمان /ابي العباس احمد بن محمد بن إبراهيم بن ابي بكر بن خلكان (٦٨١هـ) الطبعة الأولى/ دار الكتب العلمية /الجزء الرابع.

- يتيمة الدهر /تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد /مصر محمد الثعالبي/تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد / مصر /مطبعة السعادة ١٣٧٧هـ.

, Charles. Stylistique française. Paris: Librairie C. Klincksieck, 1951

الرسائل:

- أبو بكر الخوارزمي حياته وأدبه، رسالة ماجستير تقدم بها محمود صالح الضمور / جامعة بغداد ١٩٧٦.
- الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع (العراق والمشرق الإسلامي) أطروحة دكتوراه /غانم جواد رضا الحسن / كلية الاداب / جامعة بغداد /٢٠٠٥